Al-Fikr Al-Siasi Al-Islami
EISSN: 2015-2783
Islamic Sciences and culture Academy
Scientific-Specialized Bi-Annual journal
Vol. 3 • No. 1 • Issue 5 • Spring & Summer • 2023

The Idea of Reform and Its Role in the Awakening of Nations (With a View to the Uprising of Imam Husayn, as an Exemplary Model)

Rashed al-Rashed[1]

Date Received: 05/05/2025 Date Accepted: 02/08/2025

Abstract

Reform is both a civilizational idea and a transcendent moral value, without which the proper organization of human societies cannot be realized. From the very day human beings set foot on this earth and social communities were formed, the quest began for a social system that could regulate human life, safeguard rights, and bring security and stability. What binds these human communities together is a shared belief, a common religion, or a converging idea—something that not only organizes the affairs of society but also shapes the very identity upon which it is founded. The ultimate goal and highest aim of the idea of reform is the establishment of a righteous and worthy system—a system founded upon compassion, justice, and equality; one that pursues human happiness, elevates dignity and spiritual worth, and improves material well-being. Such a system upholds the scales of justice and equity in society, employing its power and influence to safeguard resources and the destiny of the community—an undertaking regarded as one of the noblest priorities of governance. In

1. Bahraini intellectual and writer, head of the political office of "the Bahrain Islamic Action Movement". alrashed62@gmail.com

∗ Al-Rashed, Rashed. (2023). The Idea of Reform and Its Role in the Awakening of Nations (With a View to the Uprising of Imam Husayn, as an Exemplary Model). *Journal of Al-Fikr al-Siyasi al-Islami, 3*(5), pp. 9-42. DOI: 10.22081/ipt.2025.72745.1029

© The author(s); **Type of article:** Research Article

the absence of reform, however, conditions give rise to oppressive and tyrannical governments—systems that exploit power and influence to secure selfish interests and personal gains of their rulers, all at the expense of the people, human dignity, and societal resources. Within such unjust systems, people are enslaved through despotic power, shackled by the whims and ambitions of rulers. By means of coercion and force, these rulers subjugate society, driving it into backwardness and moral as well as social decline. The idea of reform becomes an ethical necessity and an unavoidable duty when the ruling system abandons its lofty mission—namely, the safeguarding of justice, the protection of the community's resources, and the preservation of its assets—and instead turns power into an instrument of domination, hegemony, and exploitation of the wealth and destiny of society. In such circumstances, instead of preserving public values, with justice at their core, governance falls into the abyss of oppression, corruption, and vice, thereby losing its very essence. In this article, we examine the importance of the idea of reform and its vital role in the awakening and flourishing of nations. We also reflect on how balance may be maintained between political power and its moral mission—namely, the preservation, protection, and safeguarding of justice, as well as the guardianship of the resources and destiny of societies.

Keywords
Reform, Change, Movement, Husayn ibn Ali (peace be upon him), Ashura Uprising, Islamic Ummah.

الفكر السياسي الإسلامي
EISSN: ٢٠١٥-٢٧٨٣
مجلة علمية نصف سنوية
المجلد ٣ • العدد ١ • الرقم المسلسل للعدد ٥ • ربيع و صيف • ٢٠٢٣

فكر الإصلاح ودوره في نهضة الأمم
(ثورة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنموذجاً)

راشد الراشد[١]

تاريخ الإستلام: ٢٠٢٥/٠٥/٠٥ تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٠٨/٠٢

الملخص

الإصلاح فكرة حضارية وقيمة أخلاقية كبرى لا تستقيم أوضاع المجتمعات البشرية إلا بشروطها، فمنذ أن وجد الإنسان على هذه الأرض، وتكوّنت التجمّعات البشرية، بدأت مسيرة البحث عن نظام اجتماعي، ينظم حياة الإنسان ويحفظ حقوقه ويوفر له الأمن والاستقرار، وتجمع بين هذه التجمّعات البشرية عقيدة واحدة أو دين واحد أو فكرة واحدة يستقيم بها حال المجتمع وتشكل هويته التي يقوم على أساسها. وتكون الغاية القصوى من فكرة "الإصلاح" هو قيام النظام الصالح هو الذي يقوم على الرفق والعدل والمساواة ويحرص على إسعاد الناس ورفع قيمتهم المعنوية ومستوى معيشتهم المادّية، ويكون حارساً لميزان العدل والقسط في المجتمع، ويقوم بممارسة السلطة والنفوذ لحماية موارد ومقدّرات المجتمع وتكون تلك من أسمى أولويات الحكم، أمّا في غياب فكر الإصلاح فإن الأرضية تكون خصبة وممهدة لقيام أنظمة الحكم الظالمة والمستبدة والتي تجعل من السلطة والنفوذ جسراً لتحقيق المنافع الذاتية والمصالح الشخصية لرموزه وعلى حساب الأمّة وكرامتها ومقدّراتها، فيستعبد النظام الظالم من خلال السلطة الناس

١. مفكر وكاتب بحريني، رئيس المكتب السياسي لتيار العمل الإسلامي في البحرين.
alrashed62@gmail.com

* الراشد، راشد. (٢٠٢٣). فكر الإصلاح ودوره في نهضة الأمم (ثورة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنموذجاً). مجلة *الفكر السياسي الإسلامي* النصف سنوية العلمية، ٣(٥)، صص ٩-٤٢.
DOI: 10.22081/ipt.2025.72745.1029

ويسترقها لأهواء حكامه ومآربهم الشخصية، والتي يعمد فيها على وسائل الإكراه والإجبار لإخضاع المجتمع، ويكون سبباً في تخلّفه وانحطاطه. وتصبح فكرة "الإصلاح" واجبة أخلاقية وضرورية عندما يتحول نظام الحكم من أهدافه العليا في حفظ العدل وحماية موارد الأمة وصيانة مقدّراتها إلي جعل السلطة أداة لممارسة النفوذ والسيطرة والهيمنة على موارد ومقدرات الأمة، ومن حفظ القيم العامة وعلى رأسها إقامة العدل في المجتمع، إلى ممارسة الظلم والفساد والرذيلة. نتناول في هذه الورقة أهمية فكر الإصلاح ودوره في نهضة الأمم وحفظ التوازن بين السلطة ودورها الأخلاقي في حفظ وحماية وصيانة العدل والموارد والمقدرات.

الكلمات المفتاحية

الإصلاح، التغيير، النهضة، الحسين بن علي عليه السلام، ثورة عاشوراء، الأمة الإسلامية.

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

المقدّمة

إنّ لكلّ أمّة أو مجتمع نظام اجتماعي معيّن يكون حاكماً ومهيمناً على صياغة شخصية هذا المجتمع وإدارة سلوكه. ففي أىّ وجه من وجوه الإجتماع البشري هناك نظام حكم ترجع إليه أمور إدارة المجتمع، وهو أمر لابدّ منه حتى تنتظم أمور الناس وتستقيم أوضاعهم، ويصبح التعايش بينهم ممكناً بل وضرورياً للتطّور والإرتقاء وتحقيق الرفاه والازدهار لجميع مكوناته.

وأنّ من أهمّ الشروط التي يجب توافرها في أي نظام سياسي حاكم، هو أن يكون الهدف الأسمى لحكامه هو تحقيق العدل بين أفراد المجتمع، وتحقيق المساواة بين مكّوناته، وأن يكون النظام عاملاً بمبدأ إقرار الحقوق بين جميع مكوّنات المجتمع، وأن يسعى جاهداً لتوفير الفرص الكريمة للجميع على قدر المساواة، وأن تكون من أولوياته القصوى مراعاة مصالح الأمّة وحمايتها وصيانتها والدفاع عنها.

إنّ فقدان بعض هذه الصفات في نظام الحكم، يؤدي في واقع الحال إلى تحوّل السلطة إلى منطقة للتعالي والتكبر وممارسة الغطرسة، وأن تكون مجرد جسر عبور لتحقيق المطامع الشخصية الضيقّة لرموزه وقياداته، وهذا يصيب الحياة العامّة للمجتمع في مقتل ويؤدي للاختلال وفقدان التوازن فيه، والذي يؤدي بطبيعة الحال إلى شيوع الظلم والفساد، والتي بدورها تؤدى إلى خلق الأرضية للفوضى والدمار الشامل، خاصة عندما تعمّق ممارسة السلطة شعور المجتمع بالغبن والظلم وفقدان الثقة واليأس من تحقيق العدل، والتي تؤدي في الغالب الى حدوث فجوات بين فئات الأمّة لتنقلب أحوال المجتمع رأساً على عقب، وتتولد الصراعات والتي ربما تصل إلى حد الإقتتال بين أبنائه ومن ثم هدم كيانه وتقويض النظام العامّ الذي يقوم عليه إستقرار وسلامة المجتمع.

ومن هنا فإنّ الإصلاح فكرة حضارية وقيمة أخلاقية كبرى لا تستقيم أوضاع

المجتمعات البشرية إلا بشروطها، فمنذ أن وجد الإنسان على هذه الأرض، وتكوّنت التجمّعات البشرية، بدأت مسيرة البحث عن نظام اجتماعي، ينظم حياة الإنسان ويحفظ حقوقه ويوفر له الأمن والاستقرار، وتجمع بين هذه التجمّعات البشرية عقيدة واحدة أو دين واحد أو فكرة واحدة يستقيم بها حال المجتمع وتشكل هويته التي يقوم على أساسها.

وتكون الغاية القصوى من فكرة "الإصلاح" هو قيام النظام الصالح هو الذي يقوم على الرفق والعدل والمساواة ويحرص على إسعاد الناس ورفع قيمتهم المعنوية ومستوى معيشتهم المادّية، ويكون حارساً لميزان العدل والقسط في المجتمع، ويقوم بممارسة السلطة والنفوذ لحماية موارد ومقدّرات المجتمع وتكون تلك من أسمى أولويات الحكم، أمّا في غياب فكر الإصلاح فإن الأرضية تكون خصبة وممهدة لقيام أنظمة الحكم الظالمة والمستبدة والتي تجعل من السلطة والنفوذ جسراً لتحقيق المنافع الذاتية والمصالح الشخصية لرموزه وعلى حساب الأمّة وكرامتها ومقدّراتها، فيستعبد النظام الظالم من خلال السلطة الناس ويسترقها لأهواء حكامه ومآربهم الشخصية، والتي يعمد فيها على وسائل الإكراه والإجبار لإخضاع المجتمع، ويكون سبباً في تخلّفه وانحطاطه.

وتصبح فكرة "الإصلاح" واجبة أخلاقية وضرورية عندما يتحول نظام الحكم من أهدافه العليا في حفظ العدل وحماية موارد الأمة وصيانة مقدّراتها إلي جعل السلطة أداة لممارسة النفوذ والسيطرة والهيمنة على موارد ومقدرات الأمة، ومن حفظ القيم العامة وعلى رأسها إقامة العدل في المجتمع إلى ممارسة الظلم والفساد والرذيلة.

نتناول في هذا المقال أهمية فكر الإصلاح ودوره في نهضة الأمم وحفظ التوازن بين السلطة ودورها الأخلاقي في حفظ وحماية وصيانة العدل والموارد والمقدرات، ويأتي هذا البحث في الوقت الذي نشهد فيه نهضة وحركة وعي

متنامية في عصرنا الحاضر للعديد من شعوب العالم الرافضة للظلم والاستبداد والطامحة للتغيير، كما نعيش تجربة كبرى تتمثل في تسارع ونمو حركة المقاومة لحفظ الكرامة والسيادة في العديد من البلدان، ويهدف البحث المساهمة والبناء على المستوى التوعوي والفكري والعملي، وتقويم وتحسين مسار الأمة السياسي والفكري.

إن تنامي حركة الإصلاح في العالم وأمتدادها أفقياً لتشمل مساحة واسعة من الأمة تشكل فيه إنتصارات وإنجازات حركة الشعوب أحداثاً مهمّة لها دلالاتها وتأثيراتها الواسعة على المستوى التربوي والعقائدي والسياسي والإعلامي والثقافي لكل الأمة وأحرار وشرفاء العالم قاطبة ناحية الإصلاح السياسي والمدني والإجتماعي، وما نتطلع إليه هو أن يسهم البحث في إثارة وتحريك الوعي بأهمية الإصلاح لسيادة العدل وصون الحرّيات وحفظ الكرامة الإنسانية.

سابقة البحث

نشير في هذا القسم إلى بعض الدراسات السابقة ذات الصلة والأبحاث المتعلقة بموضوع هذا المقال، باللغتين العربية والفارسية:

١. *اهداف قيام حسينى* (كتاب، باللغة الفارسية)
[ترجمة عنوان الكتاب إلى اللغة العربية: أهداف الثورة الحسينية.
المؤلف: آية الله ناصر مكارم الشيرازي، تاريخ النشر: ١٣٨٩هـ ش]

يعتبر مؤلف هذا الكتاب مصدرين أساسيين لفهم أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام: "١. كلامه في الطريق من المدينة إلى كربلاء" و"٢. نصوص الزيارات المتعلقة به". ثم يكتب: من هذين المصدرين نستفيد عشرة أهداف لثورة عاشوراء: "إصلاح الأمة" و"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" و"إحياء سنة النبي صلى الله عليه وآله"، و"نصرة الحق ومحاربة الباطل"، و"محاربة الجهل"، و"إقامة الحكومة

الإسلامية"، و"إقامة العدل"، و"كشف المنافقين"، و"اختبار المسلمين على نطاق واسع"، و"مكانة الشفاعة العظيمة".

ويُعلن المؤلف أن الهدف الأول لنهضة الحسين عليه السلام هو "إصلاح الأمة": قام الإمام الحسين عليه السلام لإصلاح أمة جده والمجتمع الإسلامي، ولو لم يقم ولو لم تكن ثورته المباركة، لما كان للإسلام اليوم إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه (انظر: مكارم الشيرازي، ١٣٨٩هـ ش).

٢. *إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة؛ دراسة في مفهوم الإصلاح واتجاهاته وآلياته* (مقال، باللغة العربية)

[المؤلف: الدكتور نصار أسعد نصار، تاريخ النشر: ٢٠٠٧م]

يبدأ المؤلف مقالته بهذه الجمل المأساوية: "تعيش أمة الإسلام أسوأ أيام حياتها، حيث ديست الحياض، ودنست المقدسات، وانتهكت الحرمات، وهتكت الأعراض، وأُذلت النفوس، ونهبت الثروات، ورمتها قوى البغي عن قوس واحدة، فصارت تترنح تحت ضربات الأعداء، كغريق في ظلمات بحر لجي، أحاط به ثلة من الأوغاد، كلما حاول الخروج منه ركلوه بأرجلهم، فلا يلاقي فيهم شفيقاً، ولا يجد منهم رحيماً".

ثم يطرح هذه الأسئلة: "فما المخرج مما تعانيه الأمة ؟ وما سبيل النجاة ؟ وما شكل الحل؟ وما آلياته؟".

فيتناول نفس الموضوع الذي تناولته في هذه المقالة، وهو الإصلاح: "الإصلاح، تغيير الأحوال من الفساد إلى الصلاح، ومن السيئ إلى الحسن، ومن التفلت إلى الالتزام.. الإصلاح في الإسلام له خصوصية، فمنطلقه الإقرار بحاكمية الله للكون، وركنه الالتزام بهدي الإسلام الذي نسخ ما قبله، وميدانه الإنسان المطالب بالتكاليف الشرعية، والخاضع للابتلاء، والموضوع تحت الاختبار، مع منحه صلاحية الاختيار.. للإصلاح اتجاهان، الأول: الإصلاح

انطلاقاً من القمة، الثاني: الإصلاح انطلاقاً من القاعدة. والتغيير من القاعدة له محوران، الأول: تغيير النفس، الثاني: تهيئة البيئة الخارجية. وتغيير النفس، يبدأ من القلب، وذلك بتعريف الإنسان بحقيقة نفسه وبعظمة خالقه، والقيام بالأعمال والمواظبة على ذكر الله تعالى. وأهم آليات تهيئة البيئة الخارجية.. فالحل يبدأ من الإنسان.. وليكتمل الإصلاح ينبغي الإتيان بالشق الثاني من الإيمان وهو القيام بأعمال الدين.." (انظر: نصار، ٢٠٠٧م).

٣. *المبانى الفقهيه لثوره الامام الحسين بن على*عليه السلام (كتاب، باللغة العربية)
[المؤلف: عبدالإله نعمة الشبيب، تاريخ النشر: ٢٠١٠م]

في هذا الكتاب، تمت دراسة آراء المدرستين الفقهيتين في الإسلام، المدرسة الشيعية والمدرسة السنية، حول أسباب وشرعية ثورة الإمام الحسينعليه السلام بطريقة مقارنة، كما تمت مناقشة الجوانب الإصلاحية للحركة الحسينية.

نظر المؤلف أولاً إلى ثورة عاشوراء من منظور الفقه السياسي الشيعي واعتبرها حركة نحو إحياء فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع الإسلامي، ثم نظر إلى هذه القضية من منظور أهل السنة ودرس أدلة شرعية ثورة الإمامعليه السلام ضد الطاغوت من وجهة نظرهم (انظر: الشبيب، ٢٠١٠م).

ما يميز مقالي عن الدراسات السابقة في مجال الإصلاح:

من أهم أسباب تراجع الأمة تخلفهم من "اِتّباع أهل البيت". بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله. صحيح أن النبيصلى الله عليه وآله كان خاتم الأنبياء، لكن أهل بيته (الأئمة المعصومين) قاموا بدور هداية الأمة مثله، ومع انفصال القرآن عن أهل البيت المعصومين فإنه لا يُفسّر كما ينبغي، لأن الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله قال: «أَلا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسولُ رَبِّي فَأَجيبَ، وَأَنَا تارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَينِ: أَوَّلُهُما كِتَابُ اللهِ فِيهِ الهُدى وَالنّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلى كِتَابِ

اللهِ وَرَغَّبَ فيه، ثُمَّ قال: «وَأَهْلُ بَيتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيتِي.» (مسلم، ١٩٥٥م، ج٤، ص ١٨٧٣، ح٢٤٠٨).

لذلك، نرى من اتبع نهج "الأئمة الإثني عشر من أهل البيت" ـ من الصحابة وغيرهم ـ يختلف عن غيره في الديانة والرشد والمشي في الصراط المستقيم؛ كما نرى اليوم وفي المواجهة الميدانية مع الاستكبار العالمي والصهيونية الدولية، لا يوجد سوى حكومات إيران والعراق واليمن وهم شيعة أهل البيت عليهم السلام، وفي بلدان أخرى - مثل لبنان والبحرين والهند وباكستان - حيث الحكومات بيد غير الشيعة، ذلك الجزء الذي ينتمي إلى التشيع يبذل تأييداً أكثر وحماساً أشد تجاه القضية الفلسطينية.

إذن نعتقد إذا كان المجتمع يعرف مفهوم "الإمامة" ولم يخطئ في تحديد تطبيقاتها، ثم كان ثابتاً على اتباع أوامر القرآن والأئمة المعصومين، فإنه لن يقع في الجاهلية أبداً (سليماني، ٢٠٠٩م، ص ١٨٥).

لهذا، في هذا البحث استفدنا من تجربة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه خامس أهل البيت الذين فيهم نزلت آية التطهير (ابن الأثير، ١٩٩٤م، ج٢، ص ١٣)، وهو أبو الأئمة التسعة من الأئمة الإثنى عشر المعصومين، وهو الذي أعلنه النبي صلى الله عليه وآله إماماً للأمة فقال: «الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا» (الصدوق، ١٩٦٣م، ج١، ص ٢١١).

منهجية البحث

نتناول في هذا المقال أهمية فكر الإصلاح ودوره في نهضة الأمم وحفظ التوازن بين السلطة ودورها الأخلاقي في حفظ وحماية وصيانة العدل والموارد والمقدرات، من خلال ثلاثة محاور وهي:

المحور الأول: كلام حول فكر وثقافة الإصلاح.

المحور الثاني: وثيقة التاريخ الكبرى لفكر وثقافة الإصلاح.

المحور الثالث: خطوات تحقيق الإصلاح.

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

١. المحور الأول: كلام حول فكر وثقافة الإصلاح

١-١. الشرعية أساس العقد الاجتماعي بين الحاكم والأمّة

غني عن القول بأن شرعية أيّ نظام حكم إنّما تستمدّ من قبول الناس وإرادتهم الحرّة، وهذا هو جوهر العقد في أي نظام إجتماعي. فالطرف الأول فيه هو الناس أو الأمّة أمّا الطرف الثاني فهو الحاكم الذي عليه أن يستمدّ شرعية نظام حكمه من الإرادة الشعبية، وهذه هي معادلة العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم، والتي سرعان ما تهتزّ وتتغيّر، خاصّة إذا تمادى الحاكم في ظلمه وفساده.

فالحكم عقد إجتماعي بين الحاكم وبين المجتمع، والأمّة هي الطرف الأول فيه ليعبّر عن مصالحها ويحمي حقوقها ويصون حياتها ويحقق أمنها واستقرارها ويحمي مواردها ومقدّراتها، والحاكم يجب أن يخضع لشروط هذا العقد وبنوده، وعليه أن يتجنّب مخالفتها أو الخروج عن مبادئها أو أن يعمد إلى تجاهلها وعدم الاكتراث لوجودها، والذي يؤدّي في الغالب إلى الاحتقان والانفجار في أيّة لحظة، والأمّة هنا هي الجهة الوحيدة صاحبة الحقّ في تقويم الحاكم وتقرير الموقف من شرعيته.

إنّ من واجب الأمّة بنخبها وكوادرها وأبنائها وبناتها أن تحفظ كرامتها ووجودها من خلال التحرّك الحيوي وتحمل المسؤولية في مواجهة فساد وظلم الحاكم، وخاصة عند خروجه عن خط خدمة الأمّة، وخيانته لمواثيق العقد الاجتماعي الذي يجب عليه أن يحترمه، وأن لا يتنازل عنه في شتّى الظروف.

إنّ كثيراً من الحكّام وخاصّة الذين أخذوا الحكم بالغلبة أو الذين تسلّطوا على رقاب الناس بغير وجه حقّ أو يصيبهم غرور السلطة فيتكبّرون ويتجاهلون هذا العقد، ولا يعترفون ولا يعملون به، فيمارسون حكماً شموليّاً مطلقاً ومستبداً، لا تحكمه شريعة أو قانون، فيعمدون على البطش والتنكيل واستخدام أدوات السلطة في القهر والغلبة، ويصادرون حرّيات الأمّة، ويمنعون الحقوق خاصّة

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

السياسية منها وربّما يُقدمون على ارتكاب المجازر بحق المجتمع إذا شعروا في لحظة تاريخية حاسمة بأنّ الناس هم مصدر التهديد لاستمرار وجودهم في الحكم وعلى رأس السلطة والنظام السياسي.

إنّ الحكّام كثيراً ما تجرهم سطوة السلطة، فيذهلون عن أنفسهم وينغمسون في سياسات التعالي والغطرسة وممارسة القهر والاضطهاد والظلم لإخضاع المجتمع، ويخدعون بقوّتهم الوهمية، ويغيبون عن وعي حقائق التاريخ وطبيعة الأشياء، فينزلقون في ممارسة الظلم والاستبداد ضد المجتمع، ويمارسون أبشع صنوف القمع ومصادرة الحرّيات، وخاصّة إذا وجدوا من يزّين لهم أعمالهم، ويوهمهم بصواب مسلكهم في إستخدام عصا السلطة لإجبار الناس على الخضوع والقبول بحكم الأمر الواقع وليس باستحقاقات العقد الاجتماعي.

إنّ أبسط نتيجة متوقّعة لظلم وإضطهاد الأمّة وفساد الحاكم هو العاقبة السيئة والانتفاضات والثورات الشعبية التي تستهدف استرداد الكرامة والشرعية، ويصير أمر الحاكم المستبد والظالم والفاسد إلى نهايات تكون في الغالب درامية، فالمحكومون يسكتون زمناً ثمّ يثورون طلباً للحرية والكرامة واستعادة الحقوق وإقامة الميزان بين الحاكم والمحكوم.

وإذا رأينا الأمد يطول ببعض الحكّام وأيّام حكمهم وسيطرتهم على السلطة والإمساك بزمام القرار كما هو حال الأمويّين والعبّاسيّين وغيرهم من الدول والنظم الاجتماعية التي قامت في وطننا الإسلامي الكبير فإنّ ذلك يعود لأسباب موضوعية منها ما يتعلق بالبطش والاستخدام المفرط للقوّة في إخضاع الأمّة أو لسياسات التضليل والتجهيل التي تستخدمها أجهزة السلطة للتعمّية على فساد الحاكم ونظامه السياسي.

وكذلك، فإنّ من جملة الأسباب الموضوعية لاستمرار الظالم في حكمه هو جمود النخبة وعدم تصدّيها وتحمّلها لمسؤولية الإصلاح والتغيير، والتي تعاني منها الأمّة

بشكل حاد، والذي ربّما يحدث نتيجة الخوف من قمع السلطة وبطشها وتنكيلها أو بسبب يأس الأمّة من قدرتها على الإصلاح والتغيير، والذي يؤدّي بطبيعة الحال إلى تخلّيها عن تحمّل مسؤوليّاتها في الدفاع عن كرامتها وحقوقها وحماية مقدّراتها.

١-٢. ضرورة الإصلاح

إنّ الإنسان لم يتوقف يومًا عن السعي وراء الإصلاح (الحكيم، ٢٠٢٢م، ص ٩٦) ورغم سوداوية المشهد في الكثير من الحالات مع فكرة إصلاح النظم السياسية الديكتاتورية والمستبدّة والمستأثرة بالسلطة بشكل مطلق لما تمتلكه من أدوات للبطش والتنكيل وحتى التضليل، لكن سرعان ما تتسبب سياسات الغرور والتكبّر وتجاهل قوّة وقدرة الأمّة على الإصلاح والتغيير ووضع حدّ للظلم والاستبداد على الانتفاضة والثورة لفرض عملية الإصلاح وتغيير الواقع.

عند وصول الظلم والفساد إلى مستويات قياسية ولم يعدّ هناك قدرة لدى المجتمع على الاحتمال، فإنّ الأمّة سرعان ما تنتفض عند أول فرصة متاحة وممكنة تعبّر فيها عن إرادتها، فتستعيد توازنها ووعيها وتتحدّى كلّ سياسات الظلم والتغييب، والتجارب التاريخية في المجتمعات البشرية تنطق وبتفاصيل كثيرة عن تلك الهبّات والثورات الشعبية التي اقتلعت أنظمتها السياسية التي كانت ظالمة وفاسدة ومستبدّة. وذلك عندما نهضت وثارت شعوب وأمم عديدة على أنظمتها الظالمة والمستبدّة وأسقطتها وغيّرتها من الجذور بشكل حاسم، يمنعها من العودة مجدّداً إلى الحكم وصدارة النظام الاجتماعي.

إنّ ثقافة التبرير، وروح الخنوع وقبول الذلّ هي أسباب تخلّف الأمّة، وعبوديتها للآخر، بل هي مشارط ذبح قيم الرسالة ومبادئ السماء ومعارف الإسلام العظيم، لأنّ الهروب من تحمّل المسؤولية هو المرتع الذي تعشعش فيه وساوس شياطين الإنس والجنّ، وتتكاثر فيه جراثيم الفساد والمنكرات، وثم تتلوث البيئة الاجتماعية بسموم الثقافة الجاهلية والأفكار الضالّة، فتخور الروح

وتخطّ النفوس المريضة وتتزيّن الشهوات ويصعّد بريق الأموال وتغرّ الدنيا زينة ولهواً ولعباً وتفاخراً وتكاثراً في الأموال والأولاد.

إنّ تخلّي الأمّة عن مسؤولية الإصلاح الاجتماعي الشامل، وتغيير الواقع المتردّي واقتلاع جذور الفساد والمنكر والطغيان هو سبب مقتلها روحيّاً بسكّين الذات التبريرية التي قطّعت أوصال الأمّة إلى أشلاء متناثرة، بإسم دويلات أرنبية تفترسها الذئاب والثعالب، بل إنّ تخلّي الأمّة عن مسؤوليّتها هو سبب مصرعها معنويّاً، وهو الذي حجّر الفكر وصار جموداً، وطّين العقيدة تحجّراً ونقب خروقاً تسلل من خلالها الفكر الجاهلي والثقافة الضبابية التي مارست الاستلاب والتعالي والتغريب والتهميش، حتى أمست الأمّة مشلولة وفاقدة القدرة على الحركة، ضحلة الإنتاج، ومعدومة الإبداع يغذّيها الآخر تبن الأدب وزيف الأشعار، ويسقيها آسن السلوك والآداب، ويطعمها أجاج الثقافة والأفكار حتى أنشأ جيل له خوار صنعه سامريّوا العصر الذين قذفوا بهم إلى وحل التيه والضلال والضياع.

من المفيد هنا أن نشير إلى تجربة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في الإصلاح حيث أنّه لم يتحرّك إلّا من أجل رفع لواء المسؤولية ونشر شراعها لإصلاح الأمّة إصلاحاً جذريّاً شاملاً، يقتلع من خلاله جميع جذور الفساد والطغيان، رافضاً خطب التبرير وفلسفات الانهزام، والتي سطّر بتضحيته الكبرى وبدمه كلمات خالدة هي لكل الأزمان والعصور شرعة المجاهدين، ومنهاج الرساليّين وشريعة الصادقين الذين لا يبدّلون ولاءهم، ولا يتبرّؤون من علمائهم الربّانيّين، خوفاً من الطاغوت ولا تبريراً للتخاذل والتقاعس عن تحمّل المسؤولية، ولا يوادّون أعداء الله ورسوله وأهل بيته بل لا يوادّون أعداء العلماء المجاهدين، ولا يعقدون بيعة لغير للقيادة الرسالية الربّانية، والذي وصفه الإمام عليه السلام بقوله: " فَلَعَمْري، ما الإمامُ إلّا الحاكِمُ بالكِتابِ، القائمُ بالقِسْطِ، الدّائنُ بِدِينِ الحَقِّ، الحابِسُ نَفْسَهُ على ذاتِ الله" (المفيد، ١٤١٣ق، ج٢، ص ٣٩).

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

١-٣. بناء فكر وثقافة الإصلاح

في هذا البحث وحيث أنّ حديثنا يتصل بفكر وثقافة الإصلاح، ورفض الظلم والفساد والإنحراف، ومقاومة فكر الهزيمة والخنوع، وتعزيز مبدأ رفض القبول بحكم وسلطة الأمر الواقع، أمّا عن شرعية بل وواجب التصدّي وتحمّل مسؤولية الإصلاح والتغيير في حال ظلم وفساد الحكومات، فإن هناك العديد من الآيات القرآنية الكريمة والروايات الشريفة التي تؤكد على مبدأ صيانة الكرامة الإنسانية وحماية موارد ومقدرات الأمة من العبث والنهب.

ونشهد في عصرنا الحاضر نهضة وحركة وعي متنامية للعديد من شعوب العالم الرافضة للظلم والاستبداد، وتسارع نمو حركة المقاومة لحفظ الكرامة والسيادة في العديد من البلدان، أكبر مشروع إصلاحي لواقع الأمّة، بهدف بنائها على المستوى التوعوي والفكري والعملي، وتقويم وتحسين مسارها السياسي والفكري. إن تنامي حركة المقاومة وأمتدادها أفقياً لتشمل مساحة واسعة من الأمة تشكل فيه إنتصارات وإنجازات حركة الشعوب أحداثاً لها دلالاتها وتأثيراتها الواسعة على المستوى التربوي والعقائدي والسياسي والإعلامي والثقافي لكل الأمة وأحرار وشرفاء العالم قاطبة.

تختزن حركة الوعي المتنامية في الأمة بإزاء الإصلاح أكبر عملية تفاعلية على عدّة مستويات، فهناك الارتباط بين عالمي الغيب والشهود، وامتداد الماضي بعنفوان الحضور المدهش للدفاع عن الكرامة والأوطان والسيادة في الحاضر، لدى العديد من بلدان وشعوب العالم، ومدى ما يمكن أن تتركه هذه الحركة المتنامية، خاصة المقاومة منها، من تأثير في مستقبل مجتمعاتنا الإسلامية بل وحتى حضارتنا الإنسانية برمتها.

تؤمّن الثقافة الإسلامية أبعاداً استراتيجية في الإصلاح والتغيير الشامل بمعناها الأوسع، تقوم على أساس نشر وتجذير فكر وثقافة حفظ الحقوق والكرامة الإنسانية، وفي حماية موراد الأمّة ومقدراتها. ويظهر البعد الأخلاقي الشمولي

لهذه الثقافة في ما ترسخه في وجدان الأمة من فكر ونهج العزة والكرامة.

كما تقوم هذه الثقافة على أساس رفض الخنوع والخضوع والاستسلام للطواغيت والجبابرة، وتكريس ثقافة العمل على مجابهة الظلم والفساد والباطل مهمّا كلّف ذلك من أثمان، وتأكيد أهمية الكفاح من أجل إبطال أدوات الظلم والباطل في نشر الخوف والهلع في عقل ووجدان الأمّة، وتوجيه الأمّة وربطها بفكر وثقافة العزة والكرامة عبر منظومة متكاملة من المفاهيم. وما تمتلكه هذه الثقافة من تحديث حالة التفاعل الفكري والمعنوي بكسر الأنماط الفكرية البالية وتحرّر منظومة فكر الهزيمة والإستسلام لقوى الظلم والباطل، والخروج عن حالة جمود الوعي وتفعيل حالة فكر التصدّي وتحمّل المسؤلية في مواجهة الفساد والإنحراف عندما يتحكّم في شؤون الناس والأمّة ويأخذ بها إلى الدمار والإنحطاط.

لم تكن الثقافة الإسلامية مجرّد ثورة من أجل الإصلاح وتغيير الواقع الظالم فقط، كما لم تكن حركة الإنتصارات التي حققتها الحركة الإسلامية في صدر الإسلام الأول هي مجرد ثورة من أجل مجابهة الظلم والإنحراف والفساد، فقد كانت ثورة تربوية شاملة، فهي أوّلاً ثورة أخلاقية بكلّ ما تعنيه الكلمة من معان، هدفت إلى احياء قيم الشرف والعفة والفضيلة، والتي حاول الطغاة وما يزالون طمس معالمها، والدور التربوي لحركة الإصلاح في المجتمعات البشرية في عهود جميع الأنبياء والأوصياء جاء مواكباً ومصاحباً لابتعاد المجتمعات البشرية عن الفضيلة وإنغماسها بشكل حاد في الرذيلة، وقد فعّلت الثقافة الإسلامية هذا الدور التربوي، فجاءت فكرة التضحية ودماء الشهداء لتنير الدّرب للمسلمين ولعامّة البشرية على حد سواء، عندما ثاروا جميعاً في وجه الطغيان وتحركوا ضد الظلم والفساد والإنحراف، صحيح أنّ الاستبداد ظَلّ موجوداً في ظِلّ الحكومات والنظم السياسية، ولكن وهج فكر الإصلاح والتغيير ظلّ دافقاً ودافعاً لمَن يريد تحقيق العدالة ولقيم الفضيلة والعفة والشرف أن تسود في مجتمعاتنا الإنسانية،

وهذا جانب من أهمّ ما أنجزته الثقافة الإسلامية.

من أهمّ ما يسهم في الإصلاح الفردي والاجتماعي هو بناء شخصية المؤمن بناءاً روحيّاً ومعنويّاً، ليكون مؤهّلاً للقيام بوظيفته الشرعية تجاه ربّه ونفسه ومجتمعه، وهناك آليات عديدة لبناء الشخصية الإسلامية عموماً، ولعلّ أهمّ تلك الآليات هو اتّخاذ القدوة الحسنة والسير على نهجها، والتزود بالعلم والمعرفة وغيرها، وبناء هكذا شخصية يجعل الإنسان قوياً وصبوراً أمام المصاعب والشدائد، ويوجد عنده نفساً عزيزة تأبى الذلّ والمسكنة، فيصبح شجاعاً وصادقاً وأميناً، وغير ذلك من الصفات الحميدة، كذلك يوجد تناسب طردي بين السمات الحسنة ومبادئ الإصلاح السياسي والثورة على الظلم، وهو دور تربوي إصلاحي، يمكن التزوّد الفردي والمجتمعي له من خلال التأسّي بسيرة الأنبياء والأوصياء الذين قادوا حركة الإصلاح في حضارتنا الإنسانية. ويمكن للمرء أن يجد في الفكر والثقافة الإسلامية دوراً تربويّاً نشطاً ومؤثراً في الحياة الممتدّة للشخص والمجتمع.

١-٤. فكر الإصلاح مفتاح التغيير في العالم

الإصلاح هدف من الأهداف التي دعت إليها الديانات السماوية، وعمل من أجلها جميع الأنبياء والمرسلين والأوصياء على مرّ التاريخ، فما من نبي جاء إلى قومه إلّا وعمل على إصلاح شأنهم وتصحيح حالهم، وإن كلّفهم من أجل ذلك تقديم حياتهم وأعز ما يمتلكون قرباناً وثمناً للإصلاح والتغيير الذي يحفظ الكرامة الإنسانية ويصون الحرّيات والمقدّسات.

في هذا البحث وحيث أنّ حديثنا يتصل بالإصلاح السياسي والإجتماعي والمدني وما يتطلبه من رفض القبول بحكم وسلطة الأمر الواقع، وتجذير ثقافة الكرامة وواجب التصدّي وتحمّل مسؤولية الإصلاح في حال ظلم وفساد السلطة والنظم السياسية الحاكمة.

تؤمّن الثقافة الإسلامية أبعاداً استراتيجية في الإصلاح والتغيير الشامل بمعناها الأوسع، في نشر وتجذير فكر وثقافة حفظ الحقوق والكرامة الإنسانية، وفي حماية موراد الأمّة ومقدراتها. ويظهر البعد الأخلاقي الشمولي لهذه الزيارة في ما ترسخه من نهج العزة والكرامة في مجابهة الحق ضد الباطل، عبر تأكيد فكر وثقافة رفض الخنوع والخضوع والاستسلام للطواغيت والجبابرة، وتكريس ثقافة العمل على مجابهة الظلم والفساد والباطل مهمّا كلّف ذلك من أثمان، وإبطال أدواتهم في نشر الخوف والهلع في عقل ووجدان الأمّة، وتوجيه الأمّة وربطها بفكر وثقافة العزة والكرامة عبر منظومة متكاملة من المفاهيم؛ وتحديث حالة التفاعل الفكري والإداري بكسر الأنماط الفكرية البالية وتحرّر المنظومة والخروج عن حالة جمود الوعي وتفعيل حالة فكر التصدّي وتحمّل المسؤلية في مواجهة الفساد والإنحراف عندما يتحكّم في شؤون الناس والأمّة.

وتشكل تجربة الإمام الحسين عليه السلام واحدة من أبرز التجارب البشرية في ممارسة "الإصلاح" والتي دفع من أجلها الكلف والأثمان الكبيرة حيث قدّم الخيرة من أهله وأصحابه ثمناً لذلك.

وقد جاء في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: "هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ اَلْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ اَلْمَعْرُوفِ بِابْنِ اَلْحَنَفِيَّةِ أَنَّ اَلْحُسَيْنَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اَلْحَقِّ وَأَنَّ اَلْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ وَأَنَّ اَلسَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اَللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي اَلْقُبُورِ وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً ولاَ بَطِراً ولاَ مُفْسِداً ولاَ ظَالِماً وإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ اَلْإِصْلاَحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي صلى الله عليه وآله أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وأَنْهَى عَنِ اَلْمُنْكَرِ وأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ اَلْحَقِّ فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ ومَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اَللَّهُ بَيْنِي وبَيْنَ اَلْقَوْمِ بِالْحَقِّ وهُوَ خَيْرُ الحاكِمين..." (المجلسي، ١٤٠٣ق، ج٤٤، ص ٣٢٩).

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

١-٥. ثمن الإصلاح والتغيير

تستبطن الدعوة إلى الإصلاح وجود واقع فاسد، أو سيّئ، أو متخلّف، ويحتاج إلى تصحيح وإصلاح، وتفترض عملية الإصلاح وجود جبهتين: جبهة متضرّرة من الإصلاح فتقوم على حراسة الماضي والدفاع عنه بل والبطش بمن ينال منه إن كانت بيدها أسباب البطش. وجبهة متضرّرة هي الأخرى من الواقع الفاسد والسيّئ والمتخلّف، فتعمل على إصلاحه أو تغييره.

وبين الجبهتين تنافر بيّن، يحسم بالحوار والمنطق عند ذوي الألباب، أمّا مَن عقله السلطة ومنافعها وليس سلطة العقل فإنّه لن يتقدّم خطوة واحدة نحو الإصلاح، ولن يستجيب لنداء العقل والوحي المتمثّل في دعوة المصلحين من الأنبياء والأوصياء والمصلحين في الحقّ وإقامة العدل، ولذا كان لابدّ من التضحيات والاستعداد لدفع الكلف وتحمّل الأثمان عند الأخيار والصالحين وهي الكفيلة بحسم النزاع والوصول إلى الإصلاح. والتضحيات لا تكون للوصول إلى الإصلاح فحسب بل لابدّ أن تستمر وتستمر في حراسته والحفاظ عليه من أن يحوّر أو يسرق.

١-٦. إصلاح العقل والنفس خطوة مهمة

يتعرّض الإنسان إلى تجاذبات وضغوطات فإن تجاوزها وإلّا وقع في خط الانحراف، وأخطر نقطة في هذا الخطّ حين يفقد الإنسان الوعي والإرادة، حينها يستسلم للواقع الفاسد ويتكيّف معه، فيؤثر على كلّ ما يرتبط به من ثقافة وفكر وأخلاق وأعراف. وحينها يصبح شخصية ممسوخة في جميع جوانبها وأبعادها. وإلى هذه الحقيقة يشير القرآن الحكيم بقوله تعالى: "فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ" (الزخرف، ٥٤). فالإرهاب والترغيب الذي مارسه فرعون تمكن من نفوسهم فسلبهم الوعي والتفكير فيما هو ضار أو نافع لهم.

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

وما واجهه الإمام الحسين عليه السلام لا يختلف كثيراً عن هذه الصورة، فعمليّات الإرهاب بالسجن والتنكيل والقتل والتشريد، والترغيب بالهبات والتفضيل في العطاء الاقتصادي والسياسي والاجتماعي كلّ بحسبه، مسخ نفوساً كثيرة، فحوّلهم من زمرة الصالحين والعاملين في خطّهم، إلى زمرة المفسدين والحارسين لهم (الراشد، ٢٠٢٥م، ص ١٧٨).

وإلى ذلك يشير الإمام الحسين عليه السلام في إحدى خطاباته في جماعة عمر بن سعد بقوله: "تَبّاً لَكُمْ أَيَّتُهَا اَلْجَمَاعَةُ وتَرَحاً أَ فَحِينَ اِسْتَصْرَخْتُمُونَا وَلِهِينَ مُتَحَيِّرِينَ فَأَصْرَخْتُكُمْ مُؤَدِّينَ مُسْتَعِدِّينَ سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفاً فِي رِقَابِنَا وحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارَ اَلْفِتَنِ خَبَأَهَا عَدُوُّكُمْ وعَدُوُّنَا فَأَصْبَحْتُمْ أَلْباً عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ ويَداً عَلَيْهِمْ لِأَعْدَائِكُمْ بِغَيْرِ عَدْلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ ولاَ أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ إِلّاَ اَلْحَرَامُ مِنَ اَلدُّنْيَا أَنَالُوكُمْ وخَسِيسُ عَيْشٍ طَمِعْتُمْ فِيهِ مِنْ غَيْرِ حَدَثٍ كَانَ مِنَّا لاَ رَأْيَ تَفَيَّلَ لَنَا فَهَلّاَ لَكُمُ اَلْوَيْلاَتُ إِذْ كَرِهْتُمُونَا وتَرَكْتُمُونَا تَجْهَزْتُمُوهَا والسَّيْفُ لَمْ يُشْهَرْ واَلْجَأْشُ طَامِنٌ واَلرَّأْيُ لَمْ يُسْتَحْصَفْ ولَكِنْ أَسْرَعْتُمْ عَلَيْنَا كَطَيْرَةِ اَلذُّبَابِ وتَدَاعَيْتُمْ كَتَدَاعِي اَلْفَرَاشِ فَقُبْحاً لَكُمْ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ مِنْ طَوَاغِيتِ اَلْأُمَّةِ وشُذَاذِ اَلْأَحْزَابِ ونَبَذَةِ اَلْكِتَابِ ونَفَثَةِ اَلشَّيْطَانِ وعُصْبَةِ اَلْآثَامِ ومُحَرِّفِي اَلْكِتَابِ ومُطْفِئِ اَلسُّنَنِ وقَتَلَةِ أَوْلاَدِ اَلْأَنْبِيَاءِ ومُبِيرِي عِتْرَةِ اَلْأَوْصِيَاءِ ومُلْحِقِي اَلْعُهَّارِ بِالنَّسَبِ ومُؤْذِي اَلْمُؤْمِنِينَ ..." (المجلسي، ١٤٠٣ق، ج٤٥، ص ٨).

فكان لابدّ من هزّة عنيفة تؤثّر في النفوس والعقول فتشعرها بعمق المأساة وحجم الكارثة فتنتشلهم من هذا المستوى من المسخ الذي يعيشون فيه إلى فضاء الحرّية والعزّة والشرف والكرامة. ولقد كان لنهضته عليه السلام الأثر الكبير في إصلاح النفوس من خلال استعادة الوعي والإرادة في نفوس أبناء الأمّة، وتقديم نماذج صالحة استطاعت تجاوز التجاذبات والضغوطات كما تجاوزت كلّ الصفات المخلّة بإنسانية الإنسان، وسطّرت قيم الصلاح في معركة الفضيلة. فالوفاء، والإيثار، والشجاعة، ونكران الذات، قيم مرتبطة بإنسانية الإنسان، وقد سطّرها الإمام

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

الحسين عليه السلام وأنصاره في معركة القيم الخالدة، بينما اللؤم، والحسد، والجشع، والطمع، والدناءة والخساسة، صفات دخيلة على إنسانية الإنسان وقد صرعها آل الحسين وأنصاره في مواجهتهم مع لؤم بني أمية وأنصارهم وفسادهم.

١-٧. الأنبياء من أجل الإصلاح وإنقاذ البشرية

إنّ الإصلاح ضرورة لأيّ مجتمع، أو قوم، أو أمّة محكومة بنظم لا تنسجم مع قيمها التي تؤمن بها، أو لا تتلائم مع المستوى الذي يعيشه أبنائها، (ثقافيّاً، سياسيّاً، اقتصاديّاً، اجتماعيّاً) ويتطلّعون إليه.

وللأنبياء عليهم السلام وأوصيائهم دور أساسي في هذه المعادلة، فقد تضمّنت رسالاتهم جميعها في أحكامها وشرائعها التفاصيل والحقائق الكفيلة بتحديد ما للإنسان من حقوق وتطلّعات ورغبات وكشفت عن أبعادها الدينية والأخلاقية، ونصّت على أنّ إرسال الرسل والأنبياء بالكتب والبيّنات وتنصيب الأوصياء لهم، إنّما هو من أجل إنقاذ الإنسان من ظلمات الجاهلية والتخلف وإبعاده عن أوجه الشر والباطل، وقلعه من مواقع الإنحطاط والفساد والرذيلة، وقيادته إلى نور الفضيلة والعلم والمعرفة، والسير به في أوجه الخير والحقّ، والرقي به إلى مكارم الأخلاق والارتقاء به نحو الكمالات، وتأهيله لأداء مسؤولياته السامية في الحياة.

وتعتبر نهضة الإمام الحسين عليه السلام هي التجربة الرائدة بل والمؤسسة لفكر الإصلاح في الأمة، وذلك حين بادر للإصلاح عندما رأى الخلل المستشري في جسم الأمّة. قال عليه السلام: "اَللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ما كَانَ مِنَّا تَنافُساً فِي سُلْطَانٍ ولاَ اِلْتِماساً مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ولَكِنْ لِنُرِيَ الْمَعالِمَ مِنْ دِينِكَ ونُظْهِرَ الْإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ ويَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ويُعْمَلَ بِفَرَائِضِكَ وسُنَنِكَ وأَحْكَامِكَ فَإِنْ لَمْ تَنْصُرُونَا وتُنْصِفُونا قَوِيَ الظَّلَمَةُ عَلَيْكُمْ وعَمِلُوا فِي إِطْفَاءِ نُورِ نَبِيِّكُمْ وحَسْبُنَا اللهُ وعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا وإِلَيْهِ أَنَبْنَا وإِلَيْهِ الْمَصِيرُ" (المجلسي، ١٤٠٣ق، ج٩٧، ص ٧٩).

وعملية الإصلاح التي قادها تمثّل مشروع نهضة للأمة، لذا يجب على كلّ

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

المصلحين الارتباط بها والتتلمذ عليها، وعلى أبناء الأمّة الالتفاف حول رايته، والارتباط بها، فهي الملاذ الآمن لكلّ مَن يطلب إصلاحاً أو يبحث عنه. وهي محطّة من المحطّات المهمة في تاريخنا الإسلامي بل والإنساني برمته، مما ينبغي أن تتجنّد بكلّ ما لديها من طاقات وإمكانيّات لإحياء ما كانت تغرسه هذه النهضة العظيمة من فكر الإصلاح وأهميته في حياة الأمم، ولما لها من أثر بارز في إحياء الروح وبعث الإرادة ومدّ العقول بما تستلزمه من بصيرة ووعي وإدراك تامّ بالمسؤولية تجاه إصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية ومعالجة واقع الانحراف والفساد والاستبداد والظلم في المجتمعات البشرية.

هنا يجب أن تتّعظ البشرية وتتعلم ممّا جرى قبل ألف وأربعمائة عام خلت وتعلن البراءة من الفساد والظلم والطغيان، وذلك كما قاومت فكرة سيد الشهداءعليه السلام من طغوا وتجبّروا وتكبّروا وانقلبوا على الأمّة والدين، وتشدّ المآزر ونرتدي الاحرامات الطاهرة ونضع القهر والاستبداد والظلم والعصيان في دائرة المجابهة الحقّة وأن يتدثّر جميع أبناء الأمة برداء الشجاعة والوفاء والإباء كما هو الإمام الحسين الشهيدعليه السلام لكي يتحوّل هذا الرمز الكبير إلى عنوان قدوة وأسوة فاعلة على الأرض، وأن تترك الأمة وراء ظهرها الجبن والخوف من بطش الطغاة وأنظمة الاستبداد والقهر، وأن يطهّر الجميع أعماق نفوسهم ويحجوا بأرواحهم إلى قيم نهضة سيد الشهداءعليه السلام لتستلهم من حركته العظيمة معاني العزة والشرف والكرامة ومبادئ الدين القويم.

٢. المحور الثاني: وثيقة التاريخ الكبرى لفكر وثقافة الإصلاح

(الإصلاح) وثيقة التاريخ الكبرى التي خلّفتها نهضة الإمام الحسينعليه السلام في عاشوراء نحو الحرّية والعدالة وحفظ الكرامة والتي تحتاجها البشرية حتى نهاية التاريخ. إنّ قضية كربلاء وفلسفتها الثورية وشعارها في الإصلاح هي وثيقة تاريخية خالدة، يحتاج إليها كلّ من يُضطهد ومن هو بحاجة لتنفس الحرّية وأن

يصون الكرامة ويحفظ الحقوق. إنّ الأمّة بل البشرية بجميع مكوّناتها بحاجة إلى قراءة هذه الوثيقة التاريخية وما تجلّت فيها من معانٍ جمعت بين البطولة والإباء، وقوّة الشخصية الحرّة غير المستعبدة، للمساعدة في نشر فكر وثقافة الإصلاح ودعم مشروع العدالة الإنسانية المغبونة على الأرض في مجتمعاتنا البشرية التي صرعتها المصالح.

مع إطلالة فاحصة في قضية الملحمة التاريخية التي جرت وقائعها في العام ٦١ للهجرة يستوقفنا شعار ومشروع الإصلاح الكبير في هذه النهضة، وهو ذلك الشعار والهدف الذي جعله الإمام الحسين عليه السلام عنواناً عريضاً لثورته ونهضته الكبرى في كربلاء، حين أعلن عنه بوضوح في هذه العبارات الشهيرة: "أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً ولاَ بَطِراً ولاَ مُفْسِداً ولاَ ظَالِماً وإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلاَحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي صلى الله عليه وآله أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ ومَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ..." (المجلسي، ١٤٠٣ق، ج٤٤، ص ٣٢٩).

لقد كان شعار (الإصلاح) رسالة أخلاقية ومشروعاً عملاقاً لتصويب الأمور، ومنهجاً حاسماً للتغيير من أجل الحقّ والدفاع عن الكرامة الإنسانية، فلم تكن المسألة مجرد شعار عاطفي مؤقّت، بل كان رسالة ومشروعاً حضارياً عملاقاً أراد له الإمام الحسين عليه السلام أن يعبر به إلى كلّ العصور والأزمان، كقاعدة أساسية لحماية الكرامة الإنسانية وحفظ الحرّيات والحقوق.

وهو بحق علاج أساسي وضروري لذلك الواقع المؤلم الذي كانت تعيشه الأمّة الإسلامية، كما هو ضروري لواقع حالنا اليوم الذي تزدحم فيه قضايا الظلم والفساد والباطل. فنحن كأمّة في أشد الحاجة إلى هذا الشعار وفلسفته الإلهية العقائدية والفكرية والاجتماعية، خصوصاً ونحن نعرف بأنّ سنّة التغيير مشروطة بإرادة الناس ومدى استعدادهم لتحمل كلف وأثمان التغيير، إذ يقول الله عزّ

وجلّ: "لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ" (الرعد، ١١).

من خلال الدراسة المتأنية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام فإن الإصلاح والتغيير لا يتم هذا إلّا بطريقين:

١. التضحية، بالمال والوقت والجاه والنفس من أجل قضايانا المقدّسة لما للتضحية من تأثير على النفوس، فما تقدّمه نقطة دمٍ واحدة لأشدّ وقعاً من كثيرٍ من المؤتمرات والقمم والتحليلات والإصدارات. وكما إنتصرت قيمة الدم في كربلاء فإنها ستنتصر على سيف البغي والظلم والاستبداد أينما كان وأينما وجد.

٢. تحمّل المسؤولية، والعمل الدؤوب لمتابعة قضايا الأمّة وما يعترضها وذلك في كلّ مجالات الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك من أجل أن نقدّم لشعبنا وللآخر منهاج حياة يتناسب مع الواقع المعاصر حتى لا نبقى أمّة تعيش الماضي أسطورة. ولكي لا نفقد هويّتنا ونصبح أمّة نلهث وراء الغرب ولا ندركه (الراشد، ٢٠٢٥م، ص ١٩٢).

إنّ قضية كربلاء وفلسفتها الثورية وشعارها ومشروعها في "الإصلاح" وثيقة تاريخية يحتاج إليها كلّ من يُضطهد ومن هو بحاجة لتنفّس الحرّية، وأنّ الأمّة بجميع مكوّناتها بحاجة ملحّة إلى قراءة هذه الوثيقة الحسينية، وما تجلت فيها من معانٍ، جمعت فيها بين البطولة والإباء، وبين قوّة الشخصية الحرّة غير المستعبدة، وذلك كمشروع رسالي عظيم لنشر العدالة وحفظ الكرامة الإنسانية المغبونة على الأرض في مجتمعاتنا البشرية التي صرعتها المصالح.

فهي مشروعٍ دُقّ أساسه بقوّةٍ لكلّ من يحاول النهوض والانعتاق من أسر وعبودية الارتهان لحكم الطغاة والمستبدّين، والتحرّر من الظلم الذي كبّل البشر وأحالهم إلى عبيدٍ فاقدي للمعنى الإنساني الحقيقي، واليوم وبعد حقبٍ زمنية طويلة يزداد ذلك الشعار والهدف العظيم "الإصلاح"، وألقه الثوري الحسيني

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

توهّجاً وسطوعاً، ويزداد العشق لكربلاء الأبيّة التي احتضنت الدماء الزكية التي سقت تراب الطفّ وجعلت من كربلاء قبلة لطلّاب الحرّية والاستقلال والطامعين لحفظ كرامتهم الإنسانية.

فطوبى لمَن ينالهم التوفيق في قراءة وفهم ووعي هذه الوثيقة، وطوبى لمَن استطاعوا أن يتنفّسوا من عبق هذه الثورة الأبيّة من أخلاقيات وقيم تصان بها الكرامة وتحفظ بها الحقوق، وإذا كانت هناك من تعزية فهي للذين لم يشقوا طريقهم ويحصّنوا أنفسهم ومجتمعاتهم بعطاء ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره الأوفياء، لأنّهم يكونوا قد أضّلوا الطريق الذي أوجده وغرسه الإمام عليه السلام وأنصاره من أبطال كربلاء في رائعة تضحيتهم العظيمة والخالدة، التي تضمن لهم الوصول إلى الإصلاح والتغيير المنشود.

إنّ (الإصلاح) قد يتّخذ طريقاً شاقّاً على النفوس، غالي الثمن على المصلح، لكنّه ثمن يستحقه فيما يحدثه من تغيير وتصويب للأوضاع المغلوطة والظالمة، فالإمام الحسين عليه السلام إنّما خرج لطلب الإصلاح في أُمّة جده المصطفى، والذي كان غرضه الأسمى زلزلة دولة الظالمين وإضعافها، وإذكاء شعلة الثورة والرفض والامتناع عن الركون إلى الظلم والظالمين كما حثت إليه آيات كتاب الله المجيد، قال تعالى: "وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ"(هود، ١١٣).

وكذلك امتثالاً لقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلاً بَعِيدًا"(النساء، ٦٠).

ويتّضح من ذلك أنّ هذه النهضة المباركة بكلّ ما جرى فيها من أحداث ومواقف قد عبّدت طريق الحرّية في نفوس المستضعفين الأحرار، وحفّزت نفوسهم للانطلاق والتحرّك من أجل إصلاح ما فسد من أمور مجتمعاتهم ومنحتها القدرة الايمانية لرفض الاستعباد والطغيان والتجاوز على الحقوق

والكرامة البشرية أيّنما كانوا وفي أيّ زمان وُجدوا، ثم إنّها رسمت لهم منهاجاً بيّناً وشرعةً جليّةً للوصول إلى غرضهم المنشود للإصلاح وفي بناء نظام سياسي ودولة تحقق لهم القدر المعقول من العدالة وحفظ الحقوق السياسية وحماية الكرامة والمقدرات.

إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام أعظم ثورة إصلاحية عرفها التاريخ البشري على سطح الكرة الأرضية، لأنّها أحيت المبادئ والقيم المقدّسة في نفوس وعقول الأجيال المتعاقبة، وأعطت الدروس المشرقة عن التضحية في سبيل القيم الإسلامية والإنسانية. وقد تأثر كثير من عظماء البشرية ومفكّريها وسياسّيها بشخصية الإمام الحسين عليه السلام وسيرته العظيمة التي أحيا فيها عقول وقلوب البشرية، لأنّهم وجدوا في قيامه ونهضته المباركة، الرفض المطلق للظلم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعرقي والقبلي، ولمسوا في حركته التحرّرية الكرامة الإنسانية، والحرّية الفكرية، والعدالة الاجتماعية، والتسامح الديني، والوفاء للقيم الإنسانية.

والحقيقة أنّه عندما أراد القوم من سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام أن يخضع للاشرعيّة، وينزل على حكم هؤلاء الذين سيطروا بغير حق أو شرعية على إمارة المسلمين، قال لهم: "لاَ وَاللَّهِ لا أُعْطِي بِيَدِي إِعْطاءَ الذَّلِيلِ ولا أَفِرُّ فِرارَ الْعَبِيدِ" (ابن نما، ١٤٠٦ق، ص ٥١)، وقال عليه السلام في هذا السياق أيضاً: "أَلاَ وإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ مِنَّا بَيْنَ اِثْنَتَيْنِ بَيْنَ المِلَّةِ [اَلسَّلَّة] والذِّلَّةِ وهَيْهاتَ مِنَّا اَلذِّنيئَةُ يَأْبَى اللهُ ذلكَ ورَسولُهُ والْمُؤْمِنُونَ وحُجُورٌ طَابَتْ وأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ ونُفُوسٌ أَبَيَّةٌ وأَنْ نُؤْثِرَ طَاعَةَ اللِّئَامِ عَلَى مَصارِعِ الْكِرامِ" (ابن شعبة، ١٤٠٤ق، ص ٢٤١).

وهكذا وقف الإمام الحسين عليه السلام في رساليَّة الإسلام وعزّته وحرّيته، وفي كلّ ما يريد الإسلام أن يؤكّده في هذا المقام، وأعطى من حركته وتضحياته واستشهاده، كلّ ما يعزّز كلّ قيم الفضيلة في نفوس العالم.

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

٣. المحور الثالث: خطوات تحقيق الإصلاح

إنّ التغيير سمة مميّزة من سمات البشر، وكلّما تطوّر الإنسان وتغيّر نحو الأفضل كان ذلك نتيجة لاستفادته من عامل الزمان والمكان لتحقيق طموحاته وأهدافه، فالتغيير عمليّة ديناميكيّة مستمرّة لا تتوقف، علمنا بذلك أم لم نعلم رضينا أم لم نرضى.

ولولا التحوّل والتغيُّر لما وصل الناس لما وصلوا إليه، فضرورة التغيير رؤية قرآنيّة، رؤية ربّانية، لأنّ المستفيد من حالة التغيير هو نفس الإنسان، ولولا التبدّلات الحاصلة في عالم البشر لكانوا لا يزالون يستخدمون الطرق البدائيّة في معيشتهم وتنقّلاتهم، وكانو لا يزالون يستخدمون الدواب والبغال والجِمال في تحرّكاتهم، وبذلك تتعطّل الكثير من مصالحهم.

إنّ الاستفادة من عامل الزمان والمكان جعل العقل البشري يتغير بتغيُّر الزمان والمكان ويواكب التحوّلات والمتغيّرات، ونتيجة لتطور العلم والمعرفة استبدلوا الحيوانات بوسائل النقل السريعة، التي تمكّنهم من التواصل مع بعضهم البعض خلال ساعات بل خلال دقائق وحتى خلال ثواني معدودات. وهكذا هي سنن الإصلاح والتغيير في واقع المجتمعات البشرية بل وفي قيادة الحضارة الإنسانية.

ولكي يتحقق الإصلاح والتغيير الاجتماعي لابدّ من:

١. القراءة الواعية للأحداث، ولكي يتحقّق التغيير المنشود فإنّنا بحاجة إلى قراءة واعية ومعرفة قويّة للأحداث من حولنا، وهذا يدفعنا لقراءة التاريخ من خلال متابعة النماذج الناجحة التي استطاعت أن تعبّر عن نفسها من خلال تغييرات حقيقية سواء على صعيد الأفراد أو المجتمعات.

وتأتي سيرة الرسول الأكرم عليه السلام هذا النبي العظيم لتمثّل نموذجاً راقياً في عملية التغيير الاجتماعي والأخلاقي والسياسي الذي قام به على الرغم من التحدّيات

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

الكبيرة التي واجهت مسيرته المباركة، إلّا أنّه استطاع أن يترك تأثيراً كبيراً وبصمات واضحة على ذلك المجتمع الجاهلي حتى أنّ أعداءه لم يستطيعوا أن يأخذوا عليه مأخذاً واحداً فيما يرتبط بفضائل الأخلاق والصفات الحميدة التي كان يتّصف بها عليه السلام وإنّنا اليوم مدعوون للتوقّف عند هذه التجربة الرائدة على كلّ صعيد من أجل الوصول إلى تغيير حقيقي في واقعنا، إذا كنّا جادّين فعلاً في السعي وراء التغيير الذي تتنافس اليوم حوله أكبر المجتمعات المتقدّمة من أجل أن تحقّق السبق وتحافظ على موقعها في الريادة والتقدّم (انظر: جان‌احمدی وزمیلها، ١٣٩٠هـ ش).

٢. تبنّي ثقافة الإصلاح والتغيير، التي تقوم بصياغة وعي تغييري يعزّز ثقة الناس بأنفسهم وبقدراتهم وإمكانيّاتهم، ولكي نكون قادرين على ذلك تأتي الحاجة إلى تضحيات كبيرة لابدّ من تقديمها، تبدأ من حقّ الناس واحترام حرّياتهم وحقوقهم ولا تنتهي عند حفظ الكرامات وحقّ الناس في الشراكة السياسية والاقتصادية والوطنية معنىً ومضموناً لا شكلاً وصورة، وهي أمور بحاجة إلى نقاش طويل وبحث مستمر ولكن من سار على الدرب وصل.

٣. فهم سنن التغيير الإلهيّة لإصلاح المجتمعات البشرية، والتحرّك وفق إيقاعاتها ضرورة، من قبيل السعي والعمل الجاد وتحمّل المسؤولية، ولابدّ أن نكون على قناعة تامّة بأنّ الدعم الربّاني هو حاصل بالتأكيد ولكن لمن يسعى ويتحرّك، وليس للكسالى والجامدين، ولابدّ أن نعرف معنى التوكّل الحقيقي، لكي لا نتحوّل إلى متقاعسين نبحث عن الأسباب التي تبرر تقاعسنا وخذلاننا وتراجعنا.

فما من شكّ في أنّ من يريد المستقبل لابدّ أن يترك بعض لذّاته الحاضرة، ويعدّ نفسه لتجاوز هذه العقبة الكؤود من حبّ الدنيا والغفلة عن الآخرة. وليس ذلك منحصراً في الأفراد بالذات، بل ينعكس على الأمّة أيضاً، فأيّ أمّة حين تنحصر توجّهاتها ضمن أطر محدودة دون النظر إلى عامل الريادة في المستقبل

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

ودون السعي إلى التقدّم الحضاري، فسوف لن تبقى متأخرة عن ركب الحضارة فحسب، بل وربّما يسوقها هذا التقاعس والاستسلام إلى التقهقر، وبالتالي إلى الفناء والعدم.

ونحن حينما ننظر إلى نهضة الإمام الحسين عليه السلام نرى وبوضوح أنّ غالبيّة الناس تقاعسوا عن نصرته، وكانوا من المتقاعسين، كلّ بحجّة وسبب، وهذا يجعلنا نفكر في أنفسنا اليوم وكيف نحصّنها من الوقوع في شرك التقاعس والهروب من المسؤولية خاصّة عندما تحلّ لحظة الواجب الشرعي والوظيفة الأخلاقية؟

٤. عدم الاستسلام لفكر الهزيمة والأمر الواقع، إن التغيير كتطلّع وطموح لا يمكن أن يأتي من خلال الاستسلام أو الخضوع للواقع، أو إيجاد المبرّرات للتنصّل من مسؤولية الإصلاح وتحمّل كلف التغيير، والتذرّع بالمبرّرات الانهزامية، عن جدوى الاستمرار بالاجتهاد العملي والعلمي، والمجتمع يعاني من حزمة من الأزمات الحقيقيّة فلماذا كلّ هذا الجهد والعناء في سبيل أمور لا يمكن تحصيلها؟ وهذه هي النظرة الخاطئة للأمور، ولا يمكن للتغيير أن يحدث إلّا إذا تغيّرت هذه النظرة السوداوية التي تدفع إلى الجمود والاستسلام للفساد والظلم وسلطة الأمر الواقع.

هكذا هم بعض البشر يعيشون المثبّطات الداخليّة، الاستسلام للواقع، الهروب إلى الإمام، والفرار من الواقع، فيعمدون إلى إغماض عيونهم عن الحقائق ويعيشون الواقع، بينما حينما انطلق الإمام الحسين عليه السلام نظر الناس إلى الواقع بدلاً من النظر إلى الحقائق، فقالوا إنّ الحسين "عليه السلام" لا يملك القوّة ويزيد يملك الجيوش، فأغمضوا عيونهم عن قوّة الحق واستسلموا لقوّة الواقع، ونحن اليوم نرى أنّ قوّة الحق أقوى من قوّة الواقع، فيزيد زال وذهب بينما بقي الإمام الحسين عليه السلام وحقّه مخلّداً.

٥. الالتزام بالحق وبالمبادئ والقيم، حتّى نستطيع أن نغير من واقعنا السيّئ

لابد من فكر الإلتزام بالحق، والتحول من عَمَلٍ غيرِ صالحٍ إلى عَمَلٍ صَالح، ومن عمل صالح إلى عمل أصلح، وأن نسعى أن نكون متفوقين في النهج والأخلاقيات، وأن نكون مدرسة في المواقف والمبادئ، فلا نهادن أو نساوم على كرامتنا الإنسانية أو أيّ مسألة تتعلق بديننا وعقيدتنا ومقدّساتنا، وفي هذا الإتجاه يجب أن لا نجعل الشلل يصيب جسدنا الايماني، فيستشري المرض في بدننا وتظهر الصفات السيّئة في تصرّفاتنا، ولابد لنا من التزّود بالطاقة والحيوية ووعي وإدراك المسؤولية في الإصلاح والتغيير.

نتائج البحث

إن الإصلاح هو عبارة عن فكرة حضارية وقيمة أخلاقية كبرى لا تستقيم أوضاع المجتمعات البشرية إلا بشروطها، فمنذ أن وجد الإنسان على هذه الأرض، وتكوّنت التجمّعات البشرية، بدأت مسيرة البحث عن نظام اجتماعي، ينظم حياة الإنسان ويحفظ حقوقه ويوفر له الأمن والاستقرار، وتجمع بين هذه التجمّعات البشرية عقيدة واحدة أو دين واحد أو فكرة واحدة يستقيم بها حال المجتمع وتشكل هويته التي يقوم على أساسها.

وتكون الغاية القصوى من فكرة "الإصلاح" هو قيام النظام الصالح هو الذي يقوم على الرفق والعدل والمساواة ويحرص على إسعاد الناس ورفع قيمتهم المعنوية ومستوى معيشتهم المادّية، ويكون حارساً لميزان العدل والقسط في المجتمع، ويقوم بممارسة السلطة والنفوذ لحماية موارد ومقدّرات المجتمع وتكون تلك من أسمى أولويات الحكم، أمّا في غياب فكر الإصلاح فإن الأرضية تكون خصبة وممهدة لقيام أنظمة الحكم الظالمة والمستبدة والتي تجعل من السلطة والنفوذ جسراً لتحقيق المنافع الذاتية والمصالح الشخصية لرموزه وعلى حساب الأمّة وكرامتها ومقدّراتها، فيستعبد النظام الظالم من خلال السلطة الناس

ويسترقها لأهواء حكامه ومآربهم الشخصية، والتي يعمد فيها على وسائل الإكراه والإجبار لإخضاع المجتمع، ويكون سبباً في تخلّفه وانحطاطه.

تصبح فكرة "الإصلاح" واجبة أخلاقياً وضرورية خاصة عندما يتحول نظام الحكم من أهدافه العليا في حفظ العدل وحماية موارد الأمة وصيانة مقدّراتها إلي جعل السلطة أداة لممارسة النفوذ والسيطرة والهيمنة على موارد ومقدرات الأمة، وكذلك عندما يتحوّل من حفظ القيم العامّة وعلى رأسها إقامة العدل في المجتمع إلى التحكم والسيطرة وممارسة الظلم والفساد والرذيلة.

ويعتبر الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام من أعظم قادة الإصلاح في التاريخ، وهو الذي ضحى بحياته وابنائه وعشيرته وأصحابه لأجل إصلاح الأمة، وقدم درساً خالداً للبشرية جمعاء. وليس يخفى بأنّ من أهمِّ الدروس التي نتعلّمها من نهضة الإمام الحسين عليه السلام المباركة هي قول الحق وإن كان مرّاً، لأنّ مداهنة الباطل والسكوت عن الظلم والفساد والتخلف والإنحطاط والرذيلة والرضا به كأمر واقع هو ما يعيق إصلاح وتغيير الواقع، ففي مثل هذه الظروف لابد للمصلح من قول الحقّ وإن كان على حساب المنفعة والعلاقات الخاصّة، والنقطة الجوهرية هنا تكمن في رفض الخضوع للواقع الموجود وتبرير الإستسلام له، فالإمام الحسين عليه السلام لم يكتف في حركته ونهضته بالقتال ومحاربة الظالمين بل عمد إلى توضيح مواضع الخلل وشرح أسباب التحرّك وأهدافه بوضوح شديدين، لم يترك فيهما مجالاً للتأويل والتفسير.

إنّ التاريخ شاهد وناطق بقوّة الأمّة وحجم تأثيرها البالغ في الإصلاح والتغيير، وكذلك على قدرتها الاستثنائية على تحقيق وجودها والدفاع عن كرامتها وحقوقها في مواجهة الظلم والفساد وإنعدام العدالة وغياب المساواة بين أفراد المجتمع، وكيف أستطاعت إرادة الإصلاح عندما تنهض المجتمعات البشرية لتضع حداً لأي نظام حكم ظالم ومستبد، والذي يجعل من نفوذ رموزه وحكامه ووجودهم

على رأس هرم السلطة والنظام الاجتماعي أداة للتربّح والتوّسع في دائرة السيطرة والنفوذ.

وما أحوج مجتمعاتنا الإسلامية اليوم أن تبدأ بدراسة وقراءة واقعها الذي يستشري فيه الظلم والفساد والإنحطاط ووضع اليد على مكامن الخلل وما يمكن أن تقدّمه لإصلاح وتغيير هذا الواقع.

المصادر

* القرآن الكريم

١. ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد الشيباني الجزري. (١٩٩٤م / ١٤١٥ق). *أسد الغابة في معرفة الصحابة* (ج٢، الطبعة ١). طهران: دار الكتب العلمية.

٢. ابن شعبة، حسن بن علي الحراني. (١٤٠٤ق). *تحف العقول* (الطبعة ٢). قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

٣. ابن نما، جعفر بن محمد الحلي. (١٤٠٦ق). *مثير الأحزان* (الطبعة ٣). قم: انتشارات مدرسة الإمام المهدی عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٤. جان‌احمدی، فاطمه؛ درزی، علی (١٣٩٠هـ ش). سازوکارهای اجتماعی پیامبر صلى الله عليه وآله در ایجاد تحول فرهنگی در مدینه [ترجمة اسم المقال إلى العربية: الآليات الاجتماعية للنبي صلى الله عليه وآله في إحداث التحول الثقافي في المدينة المنورة]. مجلة *سخن تاریخ* العلمية الفصلية، ٤ (١٣)، صص ١٢٧-١٥٢.

٥. الحكيم، السيد منذر. (٢٠٢٢م). التغيير الإجتماعي السياسي في المجتمع من منظور الشهيد السيد محمدباقر الصدر. مجلة *الفكر السياسي الاسلامي* النصف سنوية العلمية، ٢(٤)، صص ٩٤-١٢٤.

DOI: 10.22081/ipt.2025.71322.1015

٦. الراشد، راشد. (٢٠٢٥م). *زيارة الأربعين؛ التحول العالمي الكبير نحو ترسيخ القيم الدينية وقيادة الحضارة الإنسانية نحو الكمال* (الطبعة ١). بيروت: دار المحجة البيضاء.

٧. سليماني، جواد. (٢٠٠٩م - ١٣٨٧هـ ش). چگونگی وچرایی بازگشت به جاهلیت در جامعه پس از پیامبر صلى الله عليه وآله [ترجمة اسم المقال إلى اللغة العربية: كيف

ولماذا عاد المجتمع بعد الرسولﷺ إلى ما كان عليه من الجاهلية؟]. مجلة *حكومت اسلامی* العلمية التحقيقية الفصلية، ١٣ (٤)، العدد المسلسل ٥٠، صص ١٨٥-٢١٨. http://noo.rs/ouZ3N

٨. الشبيب، عبدالإله نعمة. (٢٠١٠م / ١٤٣١ق). *المبانی الفقهيه لثوره الامام الحسين بن علی*عليه‌السلام (الطبعة ١). طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

٩. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي. (١٩٦٣م / ١٣٨٢ق). *علل الشرايع* (ج١، الطبعة ١). النجف الأشرف: المكتبة الحيدرية.

١٠. المجلسي، العلامة محمّدباقر بن محمّدتقي. (١٤٠٣ق). *بحار الأنوار الجامِعَةُ لِدُرَرِ أخبارِ الأئمةِ الأطهار* (ج٤٤ و٤٥ و٩٧، الطبعة ٢). بيروت: مؤسسة الوفاء.

١١. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (١٩٥٥م/ ١٣٧٤ق). *صحيح مسلم* (ج٤، الطبعة ١). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٢. المفيد، محمد بن محمد. (١٤١٣ق). *الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد* (ج٢، الطبعة ١). قم: مؤتمر الشيخ المفيد.

١٣. مكارم الشيرازي، ناصر. (١٣٨٩هـ ش). *اهداف قيام حسينی* [ترجمة عنوان الكتاب إلى اللغة العربية: *أهداف الثورة الحسينية*] (الطبعة ٢). قم: دار الإمام علي بن ابي طالبعليه‌السلام للنشر.

١٤. نصار، نصار أسعد. (٢٠٠٧م). إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة (دراسة في مفهوم الإصلاح واتجاهاته وآلياته). *مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية*، ٢٣ (١)، صص ٤٧٥-٥١٧.
https://www.damascusuniversity.edu.sy/mag/law/old/economics/2007/23-1/15-%20nassar.pdf

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy